قراءة حضارية في رموز أمازيغ بني مزاب

أ.محفوظ حاج ابراهيم
جامعة اليرموك
hb.mahfoud@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

مقدمة:

فإن لكل مجتمع مقوماته التي تشكل بنيته وهويته، وتختلف هذه المقومات من مجتمع لآخر حسب المنظور الفكري والثقافي، ونجد أن لكل مجتمع مجموعة من الرموز تدل على تلكم المقومات، حيث تجعلها دالّة على ثقافة معينة وعلى مجتمع بمجرد النظر فيها أو السماع عنها.

وبما أن الملتقى يتمحور حول الأمازيغ في الجزائر، رأيت أن أخصص بحثي بدراسة بعض من رموز أمازيغ بني مزاب، الذين يشكلون طيفا من أطياف المجتمع الأمازيغي في الجزائر، فأردت التفصيل في بعض الأبعاد الحضارية لهذا المجتمع، الذي له من الخصائص والميزات ما لا يخفى على من تعرف إليهم وعاشرهم في مختلف مناطق الوطن.

أهمية موضوع البحث:

يندرج هذا الموضوع ضمن المواضيع الاجتماعية الحضارية ، حيث يبحث في مقومات المجتمع المزابي، الذي يعتبر أنموذجا خاصا في الجزائر في كثير من الجوانب، وتبحث هذه الدراسة في بعض من الأبعاد التي شكلت منه هذا الكيان الخاص، وعن بعض الخصائص التي جعلت من أفراده هوية خاصة بهم ميزتهم عن غيرهم.

عرض مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول ثلاث نقاط أساسية وهي:

1- التعريف ببعض الرموز المادية والمعنوية لأمازيغ بني مزاب.

2- البحث في بعض الأبعاد الحضارية لهذه الرموز.

3- سبل الحفاظ وتطوير هذه الرموز في ضوء مقاصدها وأبعادها الحضارية.

منهجية البحث:

سأعتمد في بحثي هذا على منهجين أساسيين هما:

1-المنهج الوصفي: للتعريف بالرموز وجذورها وتاريخها.

2-المنهج التحليلي: من خلال البحث في الأبعاد واستخراج الأسس والمقاصد.

3-المنهج النقدي: حيث أبحث في سبل التطوير والمحافظة على هذه الرموز.

الخطة المتبعة في البحث:

قسمت البحث إلى مبحثين أساسيين، حيث أتناول في المبحث الأول بعضا من الرموز المادية، والرموز المعنوية في المبحث الثاني، ثم خاتمة أحصر فيها بعض من التوصيات والنتائج، وفي كل مبحث من هذه المباحث سأذكر ثلاثة رموز تعريفا، ثم أعرج إلى البحث في مقاصده وأبعاده الحضارية، وصولا إلى سبل الحفاظ عليه وتطويره.

المبحث الأول: الرموز المادية ودلالاتها الحضارية:

تمهيد:

سأتناول في هذا المبحث بعضا من الرموز المادية المستعملة عند الأمازيغ المزابيين، مستخرجا منها بعض الأبعاد الحضارية التي من أجلها وضعت له تلك الرموز، وعن الدلالات العميقة لها، وكيف صارت رمزا للمجتمع المزابي، وجزءا من هويته الثقافية، ثم أعرج على كيفية الحفاظ على هذه الأبعاد الحضارية، وسبل تطوير الرموز وفق تلكم الأبعاد في عصر التجاذبات والعولمة المفروضة، وحتى نساهم قدر الإمكان في الحفاظ عليها من شبح إفراغها من مضامينها الحقيقية وأبعادها، وحتى لا تصير تقاليد ومواريث لا يعقل لها معان أو أبعاد.

❖ **المطلب1: أحولي[1]:**

تنطق بهمزة مفتوحة وحاء مضمومة ممدودة ولام مكسورة ممدودة خفيفة. وهو اللباس الرسمي لأعضاء حلقة العزابة، يرتدونه في الحلقة وخارجها، لتمثيلها في المحافل العامة، كالأعراس والمآتم والأعياد الدينية، والتجمعات الموسمية كالزيارة ويلبسه أعضاء إروان[2] في بعض قرى وادي مزاب.

وأحولي لباس أبيض اللون، قد يميل إلى الصفرة، ينسج من الصوف، ويبدو أن أصله من جبل نفوسة بليبيا، ولا تشير المصادر إلى بداية محددة لهذا العرف عند العزابة.

وقد يعوض بعباءة بيضاء وعمامة من قماش عادي رقيق، يلف على الرأس يسمى "لحفايت". ويبدو أن ذلك استحدث في البداية للحرارة الشديدة التي يسببها ارتداء "أحولي" خلال فصل الصيف.

ويضفي هذا اللباس على العزابي مسحة من الهيبة والوقار، وتطلق نفس التسمية "أحولي" في مزاب على حجاب المرأة، وهو بنفس اللون، ويتخذ من الصوف أيضا تغطي به المرأة كامل جسمها وفق أحكام الشريعة، ويختلف عن الأول أنه صفيق ساتر، بينما أحولي العزابي خفيف النسج شفاف.

بعض الأبعاد الحضارية لهذا الرمز:

1- **البياض:** ربما تساءل الكثير عن سبب ارتداء الحرائر له بهذا اللون، هل كان لسبب معيّن أم كان اتفاقا، وقد وقفت على بعض من معاني البياض والتي لأجلها كان " الأحولي" أبيضا سواء للعزابي أم للمرأة على حد سواء، وقد تبيّن لي أنه كان كذلك لمقاصد منها

أولا: مراعاة طبيعة المنطقة التي يسكنها بنو مزاب التي تمتاز بالحرارة المرتفعة، فكان اللون الأبيض اختيارا طبيعيا لكونه الأقل امتصاصا للحرارة، وبه يحفظ الجسد من الحرارة المرتفعة، كما أنه يحفظ الجسد من لسعات الشمس الحارقة والتي قد تؤدي إلى ظهور أمراض جلدية.

ثانيا: يعتبر اللون الأبيض ذو دلالة تربوية وهي اكساب المرء لياقة الحذر من الوقوع في كل ما يقدح فيه، وذلك من خلال المحاذرة من تدنيس "الأحولي" ولكونه

أبيضا كان على المرء التحرز عليه كون الأبيض أظهر للدنس من غيره من الألوان، وعليه يجعل المرء أحرص على نظافته، ليتشكل لديه حرص تلقائي وحذر ينصرف إلى سلوكياته، لأن التحرز سلوك ينمو بتدريب المرء نفسه عليه، ومنه كان حديثه صلى الله عليه وسلم:﴿ اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْهَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنْ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ﴾[3] ، فصاحب الثوب الأبيض أحرص على نظافته من غيره من الألوان وعليه كان المسلم أحرص الناس على التوبة من الذنوب من غيره كونه أبيض السريرة في الأصل وكان لزاما عليه أن يدعو الله أن ينقيه من كل دنس ومن كل ذنب.

2- **الستر:** يعد هذا المقصد من أهم ما جعل له هذا الرمز، والستر بقسميه الشرعي والمادي:

فالشرعي: هو امتثال أمره تعالى للمرآة أن بالستر وعد إظهار الزينة إلّا لأفراد مخصوصين في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

أمّا الشق المادي: فهو متعلق بالحفاظ على القلوب ومراعاتها، حيث نجد الغنية من النساء والفقيرة ليس يظهر منهما إلّا البياض، وهذا من شأنه أن يزيل كل أشكال الطبقية في المجتمع والحفاظ على كرامة الفقراء، كما يربي في الأغنياء البساطة والزهد وتذكيرهم لتقلب أحوال الدنيا فهو كغيره إلّا أن الله قد أسبغ عليه نعمة المال كما أنّه قد يسلبها منه، فيجعله يحنو على الفقير ويشعر ببعض معاناته فتتحرك مهجته للوقوف مع الضعيف ومساعدته.

سبل الحفاظ على هذا الرمز:

حين ترسخ أبعاد الأشياء ومقاصدها في عقول وقلوب أصحابها فهذه أول خطوة في الحفاظ عليها، ومن أسفٍ قد وجدنا بعضا من المفرّطين والمفرّطات في هذا الرمز، بدعوة التحرر أحيانا، والموضة والعصرنة أحيانا أخرى، وللأسف جعلت بعضا من هؤلاء يتملصون من هذا الرمز ويعتبرونه تقييدا للحرية، ولا يدرون أنهم ينسلخون من هويتهم وينتحلون هوية وثقافة أناس لا يدرون عنها شيئا فهم مقلدون ومخالفون دون أصول ولا مرجعية، فلو كان هؤلاء ممّن يعتبر، لنظر لمن حوله في البلد ممّن يبكي حسرة على زوال هذا الرمز الذي كان سببا في حفظ المجتمعات، ونجد بعضها تقيم مسيرات لهذا الرمز لما له من قيمة حضارية وإنسانية في المجتمع ولم يشعروا لقيمته إلّا بعد زواله فهل من معتبر.

❖ **المطلب 2: أعساس[5]:**

بفتح الهمزة والعين والسين المشددة وسكون الآخر، وهو لفظ مذكر يعني المئذنة أو البرج عند المزابيين، وسمي كذلك لوظيفته المتمثلة في الحراسة والمراقبة إضافة إلى الآذان، استخدم "أعساس" كبرج لمراقبة الهلال، وسيلان الوديان وهجوم الأعداء، ويأخذ موقعا استراتيجيا في أعلى البلدة، ويشرف على كل المباني.

ولـ:"أعساس" شكل متميز عن باقي المآذن الإسلامية، إذ يأخذ شكل الهرم الناقص، وتميل جدرانه الأربعة نحو الداخل، في شكل انسيابي، كلما زاد في الارتفاع، وينتهي في الأعلى بأربع نتوءات.

وقد ظهر هذا النوع من المآذن في مسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بدونة الجندل، وفي واحة سيوة[6] بمصر، وفي جبل نفوسة في ليبيا، وفي جربة بتونس، وفي بعض مناطق بلاد السودان الغربية، إلا أن هناك اختلافات في تفاصيل البناء. وأول "أعسّاس" بوادي مزاب، شيد خلال القرن 5ه/11م بـ:"تاجنينت" (العطف).

بعض الأبعاد الحضارية لـ:"أعساس":

يعد هذا الرمز من حيث الأصل رمزا إسلاميا لا يخص مجتمعا عن غيره، لكن هناك دلالات أكسبته رمزية خاصة في المجتمع المزابي، إضافة إلى الدلالات

الدينية من إعلام المسلمين بدخول وقت الصلاة، والدلالة على مكان إقامة الصلوات، ومن أهمّ هذه الدلالات الخاصة:

الموقع ودلالته: حين يتجول المرء في أنحاء البلاد الإسلامية ثم يخص وادي مزاب بالزيارة يجد لهم علامة مميّزة وهي اعتلاء المسجد قمة مدنها، ولهذا دلالته الخاصة حيث تترجم لنا واقع حال يعيشه المزابيون، حيث أن المسجد هو السلطة العليا في المدينة ولها الكلمة الفصل وترتبط بها مختلف الهيئات الأخرى، ومنه نجد الوحدة في اتخاذ القرارات المصيرية، وهذا البعد الحضاري يقي المجتمع المزابي من التشرذم والتفرق شيعا، مما يسهل اختراق قيمه وأصوله وثوابته، وبالتالي انسلاخه من هويته وتاريخه.

القلب النابض للمجتمع المزابي: تمتد البنايات في أطراف المدن المزابية لكنّنا نجد سكانها يربطهم بهذا الرمز ارتباطا روحيا، حيث يوحي للرّائي إقامة شعائر الله وتعظيمها فالفرد يبصر هذا الرمز من كل زوايا مدينته، كما أن له دلالة عقدية وهي أن كل الأوامر أدنى من أمر الله عز وجل، فليس يعلو فوق أمر الله ونهيه أمر ولا نهي، ومن معاني " أعسّاس" الحارس الذي يحرس ويقوم على حمى الله من خلال تطبيق شرع الله وإقامتها من خلال ما يمثله هذا الرمز وهو المسجد، كما أنه يحرس على سلامة السكان في الدنيا والآخرة، فحفظهم في الدنيا كونه أعلى مكان في البلدة يبصر به أي خطر يهدد السكان، وحفظهم في الآخرة بتذكيرهم بواجباتهم تجاه خالقهم من العبادة، وإقامة شرع الله وذكره في كل آن وحين.

<u>سبل الحفاظ على هذا الرمز:</u>

من أسوأ ما تفقد الرموز رمزيتها هو إفراغها من جوهرها، لذلك أجد من الواجب أن أبيّن بعضا من التحديات التي تهدد مقاصد الرمز لا شكله، فالرمز هو الـ"أعسّاس" والجوهر هو المسجد واقامة شرع الله، أهمّ هذه التحديات:

<u>أولا:</u> مقاومة المدّ الإلحادي والتفلت عن منهج الله، من خلال تفعيل دور المسجد من ترسيخ القيم والمبادئ في النائية.

ثانيا: تطوير الأساليب في ايصال دعوة الحق وفق المتغيرات الحاصلة وعدم البقاء حبيسي التقليد، فالتطوير الذي يحفظ المقاصد والغايات أدوم من التقليد الذي لا يراعي الظروف والمتغيرات.

❖ **المطلب 3: لمقاسم[7]:**

بلام مفتوحة وميم ساكنة وقاف وسين مفتوحتين، وهو البناء الذي بواسطته يتم تقسيم مياه الأودية بالقسط والعدل على بساتين الواحة في وادي مزاب حسب عدد النخيل، وذلك وفق عادات وتقاليد وأعراف محلية، وتعرف أيضا في اللهجة المزابية (أزوني ن أوَّمان) ومعناه توزيع المياه.

وينسب تقاسيم المياه في العطف إلى الشيخ بابادي، وأما تقاسيم بوشن بغرداية فتعود إلى سنة 1119ه/1707م، حيث جددها الشيخ حمو والحاج، كما تنسب المصادر بناء تقاسيم مياه وادي انتيسة ببني يزجن إلى الشيخ بلحاج بن محمد ق10ه/16م، ثم أضاف إليها سليمان بن سعيد أجزاء أخرى بتاريخ 3 ربيع الثاني 1162ه/21 مارس 1749م، وتسهر على متابعة هذه التقاسيم وصيانتها هيئة عرفية تسمى بـ"لاومنا".

بعض الأبعاد الحضارية لهذا الرمز:

النظام والتلقائية: تعد منطقة غرداية من المناطق الصحراوية الجافة، وقد يستغرب المرء أن يرى مسارات للمياه في منطقة قلما تهطل فيها الأمطار، لكن المتأمل يجد أنه لكون الماء عملة نادرة في المنطقة كان من الواجب تنظيمها، حتى يستفيد منها كل مستحقيه بطريقة تضمن حق كل فلاح، وجعلها بهذه التلقائية يجعل كل ذي حق مطمئنا أن حقه من الماء لن يضيع في وجود هذه المنظومة التي تحفظ حق كل ذي أرض.

الاقتصاد وترشيد المداخيل: إن من أهم ما يمكن أن يراه المتأمل في هذا الرمز هو الهداية التي وفق لها أهل المنطقة حيث ضبطوا هذه النعمة ضمن منظومة تنميها ليستفيد منها المجتمع أقصى استفادة عن طريق تقسيمه بطريقة تجعل كل من يصل إليه الماء حريصا على الاستفادة منه لأنه يدرك أنه إن فاته نصيبه من المقاسم، سيؤثر ذلك على محصوله، لذلك تجده رشيدا في استخدام المياه ويقتصد

فيه، وينصرف سلوكه هذا على كل تفاصيله حيث تجده يستخدم نعم الله عليه برشاد، دون إسراف ولا تقتير.

سبل الحفاظ على هذا الرمز:

رغم التطور التقني والعلمي الذي وصلت إليه الحضارة الإنسانية من حيث طرق السقي واستخراج المياه الباطنية إلاّ أن هذه المنظومة لا تزال فعالة حين تهطل الأمطار في المنطقة فإننا نجدها تجدد التربة وتخصبها، كما أنها تنعش الآبار وتملؤها، فمن الواجب على القائمين على هذه المنظومة أن يحرصوا على ترميمها حتى يستمر نفعها وتحصيل ثمارها في المستقبل، كما أنه من الحصافة أن ينبري للمناطق التي عهدها أصحابها من جديد لاستصلاحها أناس يشيّدون منظومة تحاكي هذه المنظومة بما يتوافق مع متطلبات العصر والأراضي الشاسعة حتى يحصل الاستغلال الأمثل للمياه وتوفير الكثير من الأموال التي قد تستنزف في المجهودات الخاصة حيث تكون المنظومة أكثر اقتصادا وأكثر نفعا.

المبحث الثاني: رموز معنوية ودلالاتها الحضارية:

أقصد بالرموز المعنوية هو كل ما عدا الرموز المادية، حيث سأركز في هذا المبحث على بعض الهيئات التي تشكل هوية المجتمع المزابي، من خلال التعريف بها والبحث عن أصولها وجذورها التاريخية، والوقوف على المقاصد والرؤيا الأساسية لها، والوقوف من خلالها على سبل الحفاظ وتطويرها.

1-المطلب 1: لاوَمْنا[8]:

بفتح اللام ومدها، وفتح الواو، وسكون الميم، ثم نون مفتوحة بمد، كلمة أمازيغية مزابية أصلها عربي من الأمناء، أفراد من ذوي الخبرة والحكمة يتولون مراقبة المياه والسدود ومناحي الحياة الاجتماعية والعمرانية بمزاب، يختلفون باختلاف المهام الموكلة إليهم، فهناك: أمين في عُرف البناء، وأمين السوق، وأمناء السيل، وأمين اللحوم، والكل ممن له دراية واسعة في مجال اختصاصه بحسب التفصيل الآتي:

❖ **أمينا عرف البناء:** ترفع إليه الشكايات المتعلقة بالبناء في البلدة، وعليه تقع مسؤولية مراقبة ومراعاة حرمة الحريم وحق الجار، والسترة، وحق الشارع العمومي، وقوانين البناء المعمول بها في البلدة وأعرافها.

❖ **أمين السوق:** مهمته مراقبة السوق وله وظيفة المحتسب في الحضارة الإسلامية، إليه ترفع الشكايات المتعلقة بالمعاملات الاقتصادية والمكاييل وغيرها وهو الذي يفتح بداية أعمال السوق ويغلقها، إلا أن مهامه تقلصت اليوم فلم تعد موجودة إلا في بلدة بني يزجن.

❖ **أمناء السيل:** مهمتهم مراقبة نظام تقسيم مياه السيل، والسدود ومنافذ المياه إلى البساتين كل حسب مساحة بستانه وعدد النخيل، بغرض الاستفادة العقلانية من مياه السيل.

❖ **أمين اللحوم:** يراقب المجازر وأسواق اللحم، ويحرص على الذبح الشرعي.

يتم تعيين الأمناء من قبل مجالس أعيان قرى وادي مزاب، باستشارة مجلس العزابة، وقد يتم تعيين أمين البناء من قبل مجلس باعبد الرحمن الكرتي كما ورد ذلك في اتفاق عام 1156ه/1743م، الذي هو أصلا تجديد لاتفاق سابق عنه مما يدل على أقدمية هذا النظام واستمراريته.

و"لاومنا" في مزاب دلالة على تكفل المجتمع بالرقابة الذاتية لمختلف نواحي الحياة من أجل ضمان راحة الإنسان وصحته وأمنه، ونظير لاومنا في مزاب هم وكلاء الأفلاج بعمان.

الدلالات الحضارية لهذا الرمز:

التنظيم: لو شبهنا المجتمع بجسم الإنسان لكان من الصحيح أن نمثل بالدور الذي يقوم به "لاومنا" بدور الهرمونات في الجسم، حيث أن مهمتهم الأساسية هي تنظيم النسب حتى لا يختل التوازن في الجسم، كما أن مهمة "لاومنا" الأساسية هي التنظيم بمختلف أنواع التخصصات فكل تخصص له "لامنا" خاص به يحرصون على التوازن وضبط المتغيرات حتى لا تنفلت الأمور ويؤثر ذلك سلبا على المجتمع كبنية، لأن الاختلال في أحد التخصصات قد يجر تبعات على كل

المجتمع، ومثل ذلك في جسم الانسان إذ لو اختلت نسبة أحد المكونات كالسكر مثلا لاضطرب الجسم كله ومن هنا كانت الوظيفة التي يقوم بها "لاومنا" وظيفة أساسية لا يجوز التهاون فيها.

العدل: من تعريفات العدل هو وضع الشيء في موضعه، حيث أن البعد الخفي لهيئة "لاومنا" هو وضع الأشياء في موضعها الحقيقي والطبيعي لها، من غير زيادة أو نقصان، وهذه المهمة من أعظم الغايات التي من أجلها أرسل الأنبياء والرسل ونجد هذا في قوله تعالى:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[9]، فالمقصد الأساسي من دعوة الأنبياء هو أن يضعوا كل شيء في موضعه ابتداء من إفراد العبادة لله، وانتهاء بأبسط الأمور الحياتية عند البشر، فهذا المقصد هو جوهر عمل "لاومنا".

سبل الحفاظ على هذا الرمز وتطويره:

حين يدرك المرء المقصد والغاية أمكنه ذلك من التنويع في الأساليب والتحرك ضمن المقصد والغاية التي يريدها، كالذي يقصد مدينة من المدن فمقصده هذا يجعله يسير إليها بكل الوسائل المتاحة من طرق برية أو جوية أو بحرية إن وجدت، وبه أرى أن على "لاومنا" أن يكونوا على الصورة لمهمّتهم الأساسية حتى يسهل عليهم التحرك ضمنها، وأن ينوعوا من الأساليب للوصول إلى مقصدهم ضمن الإطار المشروع والمعقول.

كما أنه من النباهة والتطوير أن يوضع في هذه الهيئة من هم أهل اختصاص في كل مجال، كرجال القانون والمحامين والاقتصاديين وغيرهم، ممّن تتوفر فيه شروط الضبط والرقابة، حتى يسهل عليهم العمل ضمن الأطر القانونية، ويطوروا الهيئة بما يتوافق مع المتغيرات ليحفظوها من الوقوع في العراقيل القانونية.

❖ **المطلب2: اروان[10]:**

"إرْوَان" جمع مفرده "إيرو" وهو لفظ أمازيغي، يعني طالب العلم الذي حفظ القرآن الكريم وتفرغ للدراسة غالبا، ويتشكل من مجموع هؤلاء الطلبة هيئة إروان

وهي القوة المساندة للعزابة، لها نظم وتقاليد، وكثيرا ما يسند لهم العزابة أعمالا كما يختارون منهم الأعضاء الجدد في الحلقة.

وقد أسس هذا النظام الشيخ عمي سعيد[11] حين قدم مزاب في منتصف القرن التاسع هجري الخامس عشر للميلاد، إحياء للعلم، و لـ إروان مقر خاص بهم في المسجد، فيه يجتمعون ويتداولون مهامهم ومسؤولياتهم، يسمى "تَدَّارْتْ نـــ روان" أي "دار إروان".

الأبعاد الحضارية للرمز وسبل الحفاظ عليه:

لو تأملنا في كلمة "إيروان" لوجدناها مركبة من قسمين: "إينيني" و"روان" واختصرت في كلمة واحدة فصارت "إيروان" ومعناها "الذين ارتوَوْا" أو "المرتوين" من العلم والحكمة، فيعتبر هؤلاء أصالة من طلبة علم، فلم يكن فيها إلّا من كان ذا باع في العلم عموما، وفي العلم الشرعي خصوصا، لكنّ المعنى صار ينصرف حاليا إلى حفظة كتاب الله، وهذا لا يمنع من أن نبقي على الأصل لأنه في الغالب الأعم يكون الحافظ لكتاب الله متمكنا في علم من العلوم الدينية أو الدنيوية.

وأرى أن التضلع في العلم بشتى أنواعه من أنجع الوسائل للحفاظ على هذا الرمز ، فمن الأسس التي تقوم عليها المجتمعات هو العلم، فلا خير في أمة الجهل لأنها تقبع في ظلمات حالكة لا آخر لها، كما أنّه على من يمثل هذا الرمز أن يدرك حجم التحديات التي تنتظر هذه الأمة عموما والمجتمع خصوصا، فأصحاب هذا الرمز هم المادة الرمادية للمجتمع فلا يصح منهم التقاعس في طلب شتى العلوم لأن مهمتهم الأساسية هي إمداد المجتمع بما ينفعه من خلال العلوم المختلفة.

الخاتمة:

بعد هذا التّطواف اليسير في بعض رموز أمازيغ بني مزاب يمكن استخلاص بعض النتائج والتوصيات كالتالي:

- ✓ إنّ لهذا المجتمع مقومات تجعله متميزا في الكثير من الجوانب والسر يكمن في هذه الرموز التي تشكل هويته كمجتمع وهوية أفراده.
- ✓ إنّ أهمّ وسيلة للحفاظ على هذه الرموز هو الوقوف على معانيها وأبعادها الحضارية وتعليمها للناشئة، لأن ذلك يساهم في ترسيخها لديهم.
- ✓ إنّ فهم الأبعاد الحضارية لكل رمز من هذه الرموز يجعل من تطويره أمرا ممكنا لأن الأسس واضحة المعالم، ولأن هذه الرموز إنما لها دلالات ومعان فالحفاظ عليها أولى من الحفاظ على شكلها، فما الشكل إلّا ترجمة للأبعاد والمقاصد.
- ✓ على كل من يمثل رمزا من هذه الرموز أن يحرص على تطويرها بما يتوافق مع تطورات الزمان وتقلبات الدهر، لأن التطور يضمن الاستمرارية مع الحفاظ على الثوابت والأسس.

قائمة المراجع:

1. أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي، القسمة وأصول الأرضين كتاب في فقه العمارة الإسلامية ، بكير بن محمد الشيخ بلحاج و د.محمد صالح ناصر تحقيقا وتعليقا ،ط2 1418ه_ 1997م، جمعية التراث، القرارة غرداية.

2. إماناسن محمد، تقاسيم المياه، محاضرة ألقاها في مسجد الغفران، غرداية.

3. البغطوري مقرين بن محمد النفوسي، سيرة أهل نفوسة، ابراهيم بن محمد بن مسعود علواني، القرارة، 15 رجب 1401ه.

4. الثميني عبد العزيز بن ابراهيم، التكميل لبعض ما أخل به كتاب النيل صححه وقدمه محمد بن صالح الثميني، مطبعة العرب، تونس 1944م.

5. حاج سعيد يوسف بن بكير، تاريخ بني مزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، المطبعة العربية، غرداية 1992م.

6. خليفات عوض محمد، النظم الاجتماعية والتربوية عند الإباضية في إفريقيا في مرحلة الكتمان، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن.

7. خواجة عبد العزيز بن محمد ، الضبط الاجتماعي ومعوقاته في وادي مزاب دراسة سوسيوأنتربولوجية لنظام العزابة من خلال مواقف الشباب، حالة قرية بني يزقن غرداية، رسالة ماجيستير، قسم علم الاجتماع، فرع بوزريعة جامعة الجزائر، 1999م.

8. الدرجيني أحمد بن سعيد أبو العباس، طبقات المشائخ بالمغرب، ت ابراهيم طلاي مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1974م.

9. صالح اسماوي بن عمر، نظام العزابة، دبلوم دراسات معمقة، جامعة الجزائر 1986م.

10. طلاي ابراهيم بن محمد، مزاب بلد الكفاح، دراسة تاريخية اجتماعية سلسلة من تاريخ الجزائر، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1970م.

11. علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ط1، مكتبة وهبة القاهرة مصر، 1384ه_1964م.

12. فرحات بن علي الجعبيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة الطبعة العصرية، تونس، 1975م.

13. مجموعة من الباحثين، معجم مصطلحات الإباضية، إشراف د.ابراهيم بن بكير بحاز، ط1، 1429ه_ 2008م، سلطنة عمان وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، ج2.

14. مزهودي مسعود، الإباضية في المغرب الأوسط، من سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، جمعية التراث، القرارة، غرداية 1417ه_1996م.

15. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم المسمى بالمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.، ت محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج5.

16. معروف بلحاج، العمارة الدينية للإباضية بمنطقة وادي مزاب، أطروحة دكتوراه دولة، قسم علم الآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 223م.

17. ناصر محمد بن صالح، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، جمعية التراث، القرارة، غرداية، 1419ه_1999م.

18. نوح عبد الله، النظم التقليدية العرفية بوادي مزاب، رسالة ماجيستير، معهد العلوم القانونية والإدارية، جامعة الجزائر.

19. النوري حمو محمد عيسى، نبذة من حياة المزابيين الدينية والسياسية والعلمية من سنة 1505مإلى 1965م، دار الكروان، باريس، 1984م.

20. واعلي بكير بن بلحاج، الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع السنة والجماعة،2ج، جمعية التراث، القرارة، غرداية،1421ه_ 2001م.

21. Merghoub belhadj : Développement politique.

22. Schacht. J : sur le diffusion des formes d’architecture religieuse musulmane à travers le sahara, travaux de l’ institut de recherches sahariennes (T.I.R.S), tomc XL, 1er semester, alger, 1954

هوامش الدراسة:

---

[1] انظر اسماوي صالح. **نظام العزابة**،(ج1_ص77).خواجة عبد العزيز. **الضبط الاجتماعي** 180، 211، 212. نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية** (ج1_ص21).

[2] سيأتي تعريفها لاحقا.

[3] مسلم، **صحيح مسلم**. كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، برقم 476.

[4] النور 31.

[5] انظر معروف بلحاج. **العمارة الدينية الإباضية**، 219. . Merghoub belhadj **Développement politique**, 25.

Schacht. J . sur le diffusion des formes d'architecture religieuse, (article), 11, 21, 27. نقلا عن **معجم مصطلحات الأباضية** (ج1_ص34).

[6] تقع واحة سيوة في جمهوريّة مصر العربيّة، وتحديداً في الوسط ما بين بحر الرمال المصري الواقع في الصحراء الغربيّة، ومنخفض القطارة. وتبعد واحة سيوة عن مدينة القاهرة عاصمة مصر حوالي 560 ، يبلغ عدد سكّان واحة سيوة حوالي 23.000 نسمة وأكثر، وإنّ أغلبهم هم من أصول الأمازيغ، ولهجتهم هي سيوي، وتصنّف هذه اللغة من ضمن مجموعة اللغات المنتمية للأمازيغ.

[7] ينظر أبو عباس محمد. **القسمة وأصول الأرضين**، 143، 144، 243 (ط1).الثميني عبد العزيز. **التكميل لما أخل به كتاب النيل**، 102. طلاي ابراهيم. **ميزاب بلد كفاح**، 37 38.النوري. **نبذة من حياة الميزابيين**، (ج1_ص75). الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب** ص41.إمناسن محمد. **تقاسيم المياه**، (محاضرة)، (مقال)، ص14وص21. نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية**، (ج2_ص854).

[8] ينظرالبغطوري مقرين. **سيرة أهل نفوسة**، ص 48.الثميني عبد العزيز. **التكميل لما أخل به كتاب النيل**، 67. الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب**، 90. مزهودي. **الإباضية في المغرب الأوسط**، 271. نوح عبد الله. **النظم التقليدية**، 334، 335. إمناسن محمد. **تقاسيم المياه** (محاضرة). نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية** ، (ج2_ ص 930، 931).

[9] الحديد 25.

[10] ينظر الدرجيني. **طبقات المشايخ**، (ج1_ص140،138). معمر علي يحيى. **الإباضية في موكب التاريخ**، (ج1_109). الجعبيري. **نظام العزابة**، ص141_143. خليفات. **النظم الاجتماعية**، ص 99. ناصر محمد. **حلقة العزابة**، 11. الحاج سعيد يوسف. **تاريخ بني ميزاب** 30. مزهودي. **الإباضية في المغرب الأوسط**، ص219. واعلي بكير. الإمامة عند الإباضية

(ج2_ص509). اسماوي صالح. **نظام العزابة**، (ج1_ص464و466). نقلا عن **معجم مصطلحات الإباضية**، (ج1_ص58).

(11) الشيخ العلامة سعيد بن علي بن يحي الجربي، المشهور بالشيخ عمّي سـعيد – رحمـه الله– توفي 927هـ/1521م.